دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	مختارات من علوم القرآن : نزول القرآن على سبعة أحرف
المصدر:	التوحيد
الناشر:	جماعة أنصار السنة المحمدية
المؤلف الرئيسي:	البصراتي، مصطفى
المجلد/العدد:	س 32, ع 5
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2003
الشهر:	جمادى الأولى / أغسطس
الصفحات:	21 - 24
رقم MD:	182171
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الأحرف السبعة، نزول القرآن، بلاغة القرآن، القراءات
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/182171

© 2018 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مختارات من علوم القرآن

نزول القرآن على سبعة أحرف

إعداد /
مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

وبعد:

من موضوعات علوم القرآن التي تتشعب فيها الآراء «نزول القرآن على سبعة أحرف» فهو موضوع شائك، صحَّت أحاديثه، وتعددت طرقها بما يشبه التواتر، ونحن في هذه الكلمات نوضح معنى الأحرف السبعة الواردة في الأحاديث، ونستعرض آراء العلماء في هذا الموضوع، والوجوه التي تختلف فيها لغات العرب، وكذلك الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف.

اختلاف اللهجات العربية

إن هذه الأمة المنتشرة في الأصقاع المترامية في شبه جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق، رغم أنها كانت تتكلم لغة واحدة، فإنها بالاتصال مع غيرها من الأمم واقتباسها منها، وانفراد كل قبيلة عن بقية أمتها، جعلها مختلفة عن غيرها في النطق باللغة من وجوه حتى غدا لكل قبيلة منها لهجة خاصة.

ولقد أسمى علماء اللغة الإسلاميون هذه اللهجات «لغات» تجوُّزًا، وألفوا فيها كتبًا عرفت بـ(كتب اللغات)، وتسمى هذه اللغات في اصطلاح علماء اللغة المعاصرين «لهجات». واللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.

الوجوه التي تختلف فيها لغات العرب

تختلف اللغات العربية في بعض الكلمات والتراكيب؛ فيقول بنو تميم في صيغة فعل الأمر من المضاعف: شُدَّ، وضُنَّ، وفِرَّ، واستعدَّ، واصطبَّ يا رجل، واطمئن يا غلام. بينما يقول أهل الحجاز: أشدُدْ، واضنُنْ، وافرِرْ، واصطبِرْ، وأطمئنِنْ. (يقال: اصطب من القربة ماء: صبَّه منها ليشربه).

وذكر القرآن لغتين في (استطاع) قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٦٧]، ثم قال في آخر القصة ﴿... ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢]، وفيه لغة ثالثة، استعتُ «بحذف الطاء كحذف التاء». ولغة رابعة: «أسطعت» (بقطع الهمزة مفتوحة).

وكذلك كلمة (قسطاس) فيها سبع لغات منها: قسطاس، وقِصطاس، وقستاط، وقِسَّاط وقَسَّاط، أما لغة عرب اليمن (حمير ومن معهم) فإنها أكثر بعدًا عن لغة بني نزار: مثال ذلك: حكى الكسائي عن قُضاعة أنها تقول: مررت بَهْ «بفتح الباء» والمال لَهْ «بكسر اللام مع سكون الهاء فيهما».

قال ابن فارس في فقه اللغة: «اختلاف لغات العرب من وجوه»:

أحدها: الاختلاف في الحركات، نحو: نَستعين ونِستعين - بفتح النون وكسرها. قال الفرَّاء: هي مفتوحة في لغة قريش. وأسد وغيرَهم يكسرها.

والوجه الآخر: الاختلاف في الحركة والسكون نحو: مَعْكم، ومَعْكم.

ووجه آخر: وهو الاختلاف في إبدال الحروف، نحو: أولئك، وأولالك ومنها قولهم: إنَّ زيدًا وعِنَّ زيدًا.

ومن ذلك: الاختلاف في الهمز والتليين، نحو مستهزئون، ومستهزون.

ومنها: الاختلاف في التقديم والتأخير نحو: صاعقة، وصاقعة.

ومنها: الاختلاف في التذكير والتأنيث، فإن من العرب من يقول: هذه البقر وهذه النخل. ومنهم من يقول: هذا البقر، وهذا النخل. وكل هذه اللغات منسوبةٌ إلى أصحابها.

الأحاديث الواردة في السبعة الأحرف

وهي كثيرة نذكر منها حديثين:

الأول: أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «أقرأني جبريلُ على حرف فراجعتُهُ، فلم أزل استزيدُه ويزيدُني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»، زاد مسلم: قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام.

الثاني: وأخرجا أيضا عن عمر بن الخطاب أنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئْنيها رسولُ الله ﷺ، فكدتُ أساورُهُ في الصلاة، فتصبرتُ حتى سَلَّم، فلببتهُ بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ؟ فقال: أقرأنيها رسول الله ﷺ.

فقلتُ كذبت، فإنَّ رسول الله ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقودُهُ إلى رسول الله ﷺ، فقلت إني سمعتُ هذا يقرأُ بسورة الفرقان على حروف لم تُقرئْنيها، فقال رسول الله ﷺ: «أرْسِلْهُ، اقرأ يا هشام»، فقرأ عليه القراءة التي سمعتُه يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزِلَتْ، إن هذا القرآن أُنزِل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه».

معنى الحرف:

أصل معناه: طرف الشيء وَحَدُّه الذي ينتهي إليه. وقد ورد بمعانٍ متعددة منها: الطرف والحدِّ والجانب والناحية وسمي الواحد من حروف الهجاء «حرفًا» لأنه جزء من كلمة وطرفها، ويستعمل في الدلالة على وجه من وجوه القراءة المتعددة، وتسمى قراءة كل قارئ حرفًا، يقال: حرف أُبيّ بن كعب، وحرف ابن مسعود... أي قراءته.

وبالمطابقة بين هذه المعاني اللغوية لكلمة «حرف» وبين ما جاء في الأحاديث الدالة على نزول القرآن على سبعة أحرف يتبين أن أنسب هذه المعاني بالنسبة لكلمة (حرف) في الأحاديث هو: (الوجه) أو الجهة التي يؤدَّى عليها الشيء، وكيفية التصريف والتغيير فيه، كما تؤكد أن ذلك التعدد أيضا كان في الأداء اللفظي فحسب دون أن يتناول تغيير المعاني أو تعددها فضلا عن الجمع بين متناقضاتها.

أقوال العلماء في المراد بالأحرف السبعة

اتفق العلماء على أنه لا يمكن أن يكون المراد بها هؤلاء السبعة القراء المشهورين كما يظنه بعض العوام وكثير من الناس؛ لأن هؤلاء القراء السبعة لم يكونوا قد وجدوا أثناء نزول القرآن الكريم، ثم إن القراءات المتواترة عشر وليست سبعًا.

وقد اختلف العلماء في تفسير هذه الأحرف اختلافًا كثيرًا وافترقوا على أقوال، أكثرها متداخل فيما بينها.

- فذهب بعضهم إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب كلها يمنها ونزارها وهي: لغة قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن - وقيل في تحديد اللغات السبع غير هذا.

وقد اعتُرض على هذا الرأي بأن القرآن الكريم فيه أكثر من سبع لغات؛ ويذكر ابن عبد البر وجهًا آخر في توهين هذا الرأي فيقول: «قد أنكر أهل العلم أن يكون معنى سبعة أحرف» سبع لغات؛ لأنه لو كان كذلك لم ينكر بعضهم على بعض في أول الأمر، لأن ذلك من لغته التي طبع عليها، وأيضا فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي، وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته».

- وقال بعضهم: المراد معاني الأحكام، كالحلال والحرام، والمحكم والمتشابه، والأمثال، والإنشاء والإخبار.

- وقيل المراد بها: الأمر والنهي، والطلب، والدعاء، والخبر، والاستخبار والزجر.

- وقيل المراد بها: الوعد، والوعيد، والمطلق، والمقيد، والتفسير، والإعراب، والتأويل.

ومع الاحتفاظ بالقيمة العلمية والعقلية لكل ما استنبطه العلماء من آراء حول المراد بهذه الأحرف السبعة، ومن وسط هذا الحشد الهائل من الآراء في هذا الموضوع والتي أوصلها البعض إلى أربعين رأيًا.

نذكر رأي الإمام أبي الفضل الرازي، وهو رأي اجتمع عليه كثير من الفضلاء الكاتبين في هذا الموضوع، فقد ذهب إليه أبو حاتم السجستاني وابن قتيبة وأبو بكر الباقلاني وأبو الحسن السخاوي وابن الجزري، وسبقهم جميعًا إلى نحوٍ منه أبو العباس أحمد بن واصل، وهو اختيار أبي علي الأهوازي ومكي بن أبي طالب وابن شريح من القدامى. ومن المعاصرين الشيخ عبد العظيم الزرقاني والشيخ محمد نجيب المطيعي والعلامة الخضري الدمياطي والشيخ عبد الفتاح القاضي والدكتور شعبان محمد إسماعيل وغيرهم كثير.

ولا يفوتني أن أنبه هنا إلى أن هناك اختلافًا يسيرًا بين هؤلاء الأعلام في تحديد الأوجه السبعة بالاستقراء وهذا الرأي الذي ذهبوا إليه في معنى الأحرف السبعة هو: الأوجه التي يقع بها التغاير والاختلاف.

وكلمة «الأوجه» ترجيح لأحد معاني «الحرف». لأنه باستقراء ألفاظ الحديث لا يستقيم إلا هذا المعنى، وإليه ذهب أعلام القراء، وكلمة «التغاير» إشارة إلى وجود الاختلاف بين هذه الأوجه، وفيه رد على من يحصر الاختلاف في نوع واحد فقط كالترادف نحو هلم وأقبل وتعال.

والأوجه التي يقع بها هذا التغاير والاختلاف لا تخرج عن سبعة:

الأول: اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع: نحو قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤]، قرئ لفظ مسكين هكذا بالإفراد وقُرئ مساكين بالجمع، وقوله تعالى في الحجرات: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠]، قُرئ بفتح الهمزة والخاء بلفظ التثنية وقرئ بكسر الهمزة وسكون الخاء وبعد الواو تاء مكسورة على أنه جمع أخ.

واختلاف الأسماء أيضا في التذكير والتأنيث: نحو قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة:٤٨]، قرئ يُقبل بياء التذكير وتاء التأنيث، وقوله تعالى في سورة النحل: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨ - ٣٢]، قرئ يتوفاهم بياء التذكير.

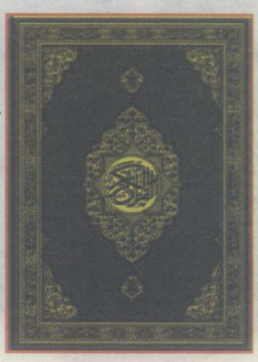

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر نحو: قوله

تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة:١٨٤]، قرئ يَطَّوَّع بياء مفتوحة وبعدها طاء مشددة مفتوحة مع جزم العين على أنه فعل مضارع. وقوله تعالى بسورة يوسف: ﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف:١١٠]، قرئ بزيادة نون ساكنة بعد النون المضمومة مع تخفيف الجيم وسكون الياء على أنه فعل مضارع.

الثالث: اختلاف أوجه الإعراب نحو: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩]، على أن لا نافية، وقرئ بفتح التاء وجزم اللام على أنها ناهية. وقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قرئ بخفض الهاء من لفظ الجلالة وقرئ برفعها.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة، كقوله تعالى بسورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران:١٣٣]، قرئ بإثبات الواو قبل السين وقرئ بحذفها، وقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ [يوسف:١٩]، قرئ بزيادة الياء المفتوحة بعد الألف وقرئ بحذفها، وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠]، قرئ «فبما» بفاء قبل الباء وقرئ «بما» بحذف الفاء.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير، كقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ [آل عمران:٩٥]، قرئ بتقديم وقاتلوا وتأخير وقتلوا وقرئ بتقديم وقتلوا وتأخير وقاتلوا، وقوله في سورة المطففين ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين:٢٦]، قرئ «خَاتَمُهُ» بفتح الخاء وتقديم الألف على التاء المفتوحة.

السادس: الاختلاف بالإبدال، أي جعل حرف مكان آخر، كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ [يونس:٣٠]، قرئ تبلو بتاء مفتوحة فباء ساكنة وقرئ «تَتْلُو» بتاءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، وقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء:٢١٧]، قرئ وتوكل بالواو وقرئ فتَوكل بالفاء. وقوله تعالى في سورة التكوير: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:٢٤]، قرئ بالضاد والظاء.

السابع: الاختلاف في اللهجات: كالفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والتسهيل والتحقيق، والتفخيم والترقيق وهكذا، ويدخل في هذا النوع الكلمات التي اختلفت فيها لغات القبائل وتباينت ألسنتهم في النطق بها نحو: خطوات، بيوت، خفية، زبورًا، شنآن، الأذن، وهي كلها تعتمد على كيفية النطق والأداء، ولا يكون ذلك إلا من أفواه المشايخ.

ومع جودة هذا الرأي ودقته وإحكامه واستحقاقه لاختيار الفحول من العلماء إلا أنه لا يسعنا إلا ما وسع السلف الصالح والقرون الأولى من الاكتفاء بالقراءات الصحيحة المتواترة عن رسول الله ﷺ والتي استقرت كتابةً وخطًا وقراءةً من مصحف عثمان رضي الله عنه وانتشرت حفظا ومشافهة عبر الأجيال.

حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف

١ - تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين، لكل قبيلة منهم لسان ولا عهد لهم بحفظ الشرائع فضلا عن أن يكون ذلك مما ألِفوه، وهذه الحكمة نصَّت عليها الأحاديث.

٢ - التخفيف على الأمة وتسهيل القراءة عليها خاصة الأمة العربية التي شوفهت بالقرآن.

٣ - جمع الأمة الإسلامية الجديدة على لسان واحد بينها وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن والذي انتظم كثيرًا من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج.

والله من وراء القصد.